



الشيلات الشعبية إلى أين؟!

سامح عبد الرحيم الصيفي

تُعد الشيلة نوع من أنواع الحدأ القديم كان يتغنى به أهل البادية على ظهور الجمال، لإثارة الحماسة أثناء المعارك، وتطور هذا الفن حتى زادم الفنون الشعبية الأخرى واحتل صدارة المشهد الاجتماعي بحضوره في أغلب مناسباته.

الشيلة بحلتها الجديدة عدها البعض دخيلة على المجتمع، ومفسدة للموروث الشعبي العربي، حيث تحولت إلى فن "للهاياط" بامتياز، يتسابق فيه شعراء القوم في إثارة النعرات القبلية، والمفاخرة بالأمجاد التاريخية، مع تعظيم للأنساب وتضخيم للأحساب، وجُل هؤلاء لم يسعفهم الحاضر، فعمدوا إلى استجرار الماضي، عليهم يجدون فيه عوضاً عن إفلاس واقعهم، لذا قيل لهم:

لأن فخرت بياء لهم شرف*لقد صدقوا ولكن بئسما ولدوا

وحتى لا نضع الشيلات في سلة واحدة ونوصمها بالعوار والبوار، علينا الإشادة بتلك الشيلات التي وُظفت في الموعظة والنصح والمدح والثناء من غير انتقاص لآخرين، أما محل النقد ما نشهده من شيلات بلغت الآفاق، وأحدثت في المجتمع الشّلاق، أذكت روح العنصرية القبلية، وخلقت حالة من التعالي والنظرة الفوقيّة.

وبعرض الشيلة على مشعرة الدين، نجد أنها هجين بين الأغاني والأنشيد، متوضحة بعبارة إسلامية نزعها الشيخ صالح الفوزان بوصفها أنها أشد أنواع الأغاني؛ لما يصاحبها من إيقاعات ومؤثرات صوتية أشبه بالموسيقى، وقد قطعت فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء قول كل خطيب في إياحتها، واللجنة برئاسة المفتى الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، حيث نصت على أن: (الأصوات المصاحبة للأشيد المسماة بالمؤثرات الصوتية الداخلية عليها الشبيهة بالموسيقى والتي لا يفرق السامع بينها وبين العزف على الآلة الموسيقية - لها حكم المعاذف، فيكون الاستعمال إليها محرماً) رقم الفتوى: 23916.

أعلم أن هناك تعممات عند بعض القراء تجاه هذه الفتوى، واستحضار لقول الآحاد: ليحاج به قوله السواد، وهنا لابد التحذير من عرض الفتوى على مقصلة الهوى، فاما له وفاق أو لها فراق، إن متبع فتاوى الهوى يستطيع شرب الخمر على قول الكوفيين، وزواج المتعة على قول المكيين، والغناء على قول المدينين، والعصمة للخلفاء على قول الشاميين، ويكون بذلك قد جمع الشر كما قال الإمام الأوزاعي.

لم تقف التجاوزات الشرعية لهذا الهجين المتوضحة بالعبارة الإسلامية عند إدخال المؤثرات الصوتية أو الموسيقى، فالكلمات بها ما يستوجب التوقف عندها، فذاك شاعر يقول لولا قبيلته ما أظن به معلكة، وآخر لقبيلته تقول ملائكة السماء والنعم!

إلى أين سيصل بنا "فن الهاياط" القائم على تمجيل القبيلة وتزيكيتها؟ ألم يقرأ هؤلاء قوله الله تعالى: (فلا ترکوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى)؟ ألم يعلموا أن ترجيح الميزان بين العباد يمكن في التقوى؟ يقول الله سبحانه وتعالى: (إن أكرمكم عند الله آتقاكم)، ويقول الشاعر:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه*فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارسِين*وقد خفض الشرك النسيب أبا لهب

سامح عبد الرحيم الصيفي